جامعة تكريت / كلية التربية للعلوم الإنسانية / اللغة العربية

المرحلة : ماجستير لغة عربية

المادة: دراسات لغوية قديمة

عنوان المحاضرة: النحو وضعه وواضعه

التدريسي : الأستاذ الدكتور قاسم خليل إبراهيم

النحو وضعه وواضعه

لقد نشا النحو بسبب الزيغ الذي طرا على السنة العرب والخطأ في تلاوة القران الكريم وذلك بعد اختلاط العرب بغيرهم من الامم الاعجمية ولا سيما في الاقطار المجاورة للجزيرة ونشاة المجتمعات الكبيرة التي جمعت اخلاطا مختلفة من الناس وفي طليعة ذلك مجتمعات البصرة والكوفة وبغداد ولما كانت البصرة اول مدينة مصرت في الاسلام كانت اسبق الى هذا الاختلاط وانتشار الخطأ والفساد في الالسنة فكانت الداعية فيها الى نشأة ضوابط لسانية تصون السنتهم من الخطأ في النطق وفي التلاوة اشد ولهذا قام الغيارى على هذه اللغة بالمبادرة الاولى في وضع هذه الضوابط .

اختلف العلماء في اصل واضع النحو:

اكثر العلماء تنسب الوضع الاول الى ابي الاسود الدؤلي واختلفوا في الواضعين الاخرين اختلافات كثيرة كما انهم لما ذكروا ابا الاسود لم يذكروه على الوجه القطعي اكان الوضع من نفسه او بأشارة من سواه وقد ذكرة طائفة من الرواة انه فعل ذلك باشارة من الامام علي كما انهم اختلفوا في ابي الاسود اكان واضعا لقواعد نحوية لم تكن من قبل ام انه دون ما كان معروفا منها حيث ان كثيرا من الرواة نسبوا اليه وضع العربية على وجه مطلق على اعتبار ان ابا الاسود قد اعرب القران على عهد زياد ابن ابيه بالنقط رفعا ونصبا وجرا وجزما بالعلامات الفارقة التي وضعها فوق الحرف او اسفله او بين يديه قالوا من هذا ان ابا الاسود وضع العربية .

وذهب غير قليل من الباحثين العرب والمستشرقين الى ان ابا الاسود لم يضع القواعد بل جاء عمله منبها للاذهان الى وضع تلك القواعد حيث ان الناس عندما وجدوا لفظة ترفع بحسب النقط تسألوا عن سبب رفعها وهكذا في الحالات الاخرى فجرهم هذا الى معرفة ما يرفع من الالفاظ وما ينصب وما يجزم ثم الى وضع القواعد في هذه المسائل فعلى رأي هؤلاء ان القواعد وضعت متأخرة

عن عهد ابي الأسود ولكن اكثر الرواة المتقدمين لا يقرون مثل هذا لأنه ليس هناك دليل ما يؤيده من سند تاريخي .

ولقد عاش ابو الأسود في البصرة وشهد التطور في حياتها الاجتماعية والعمرانية والثقافية ورأى ما طرأ على العربية والسنة العرب من انحراف عن الفصحى حتى القرآن الكريم لم يسلم من الخطأ في التلاوة وقد كان ابو الأسود من اشد ما يكون حرصا على لغة التنزيل ولغة العرب فبعثه ذلك أن يضع ضوابط لسانية لكل ما يسمع من خطأ

ولما نزل الأمام علي البصرة ورأى خطأ الناس في كلامهم خشي على الفصحى وعلى لغة التنزيل من الفساد فأحس بهذا الخطر الداهم على اللغة كما شعر به من قبل ابو الأسود فقال أني سمعت ببلدكم هذا لحنا من مخالطة العرب لهذه الحمراء ويريد بهم الفرس ويقال أن الأمام عليا اخرج من تحت بساطه كتب بها بعض ما سمع الناس يلحنون به وتصحيح ذلك ووضع لهذا بعض الضوابط في تقسيم الكلمة الى اسم وفعل وحرف والاسم ظاهر ومضمر وقرأها ابو الأسود وقال له الامام ضع ما هو على غرارها وانح هذا النحو فسمي هذا العلم نحوا

ومن الروايات التي وردت في نسبة النحو :

قال محمد بن سلام الجمحي : كان اول من اسس العربية وفتح بابها وانمج سبيلها ووضع قياسها ابو الأسود ثم قال ووضع باب الفاعل والمفعول والمضاف والنصب والجزم ثم قال بعد ذلك ثم كان بعده ابن ابي اسحق الحضرمي فكان اول من بعج النحو ومد القياس وشرح العلل

وروي عن ثعلب انه قال روى ابن لهيعة عن ابي النضر قال كان عبد الرحمن بن هرمز اول من وضع العربية وقال آخرون رسم النحو نصر بن عاصم اما المتأخرون من المستشرقين والعرب فذهب كثير منهم الى أن ابا الأسود لم يضع العربية ويبدأها ضوابط وقواعد وإن ما نسب اليه من وضع هذه الضوابط والتفصيلات او ما اشار اليه الامام علي من تقسيم الكلمة الى اسم وفعل وحرف وتقسيم الاسم الى ظاهر ومضمر وليس بظاهر ولآ مضمر لا يمكن أن يصدق حيث زعموا ان هذه التقسيمات هي تقسيمات منطقية لا تنسجم وعقلية العرب في اول عصر الثقافة التي بدؤها الا ان هذا الرأي لايسنده دليل مقبول بل دلت المصادر القديمة على عكسه في انها تنص على ان ابا الأسود وضع ضوابط اولية باشارة من الامام علي في صحيفته المعروفة **بالتعليقة** وهو عمل مستقل عن وضعه النقط في القرآن .

اختلاف العلماء والمؤرخين في الأولين الذين سبقوا الى وضع النحو

اولا : ابو الاسود الدولي ذكرت طائفة من الرواة انه فعل ذلك باشارة من الامام علي . كما انهم اختلفوا في ابي الاسود اكان واضعا لقواعد نحوية لم تكن من قبل ام انه دَون ما كان معروفاً منها. يقول الدكتور محمد حسين ان كثيرا من الرواة نسبوا اليه وضع العربية على وجه مطلق فقالوا انه أول من وضع العربية على اعتبار ان ابا الاسود قد اعرب القرآن على عهد زياد ابن ابيه بالنقط رفعا ونصبا وجرا أو جزماً فقالوا من هذا ان ابا الاسود وضع العربية.

ثانياً : ذهب عدِد غير قليل من الباحثين العرب والمستشرقين الى ان ابا الاسود لم يضع القواعد بل جاء عمل منبها للاذهان الى وضع تلك القواعد حيث ان الناس عندما وجدو لفظة ترفع

بحسب النقط تسالوا عن سبب رفعها وهكذا في الحالات الأخرى يقول الدكتور محمد حسين فعلى رأي هؤلاء أن القواعد وضعت متأخرة عن عهد ابي الاسود ولكن اكثر الرواة المتقدمين لا يقرون مثل هذا لانه ليس هناك ما يؤيده من سند تاريخي

وقد كان ابو الاسود من اشد ما يكون حرصاً على لغة الترتيل ولغة العرب فبعته ذلك على ان يضع ضوابط لسانيه لكن ما يسمع من خطأ وكان من جملة ما وضع ما يرفع وما ينص وما يجر من الاسماء والافعال. وادوات النصب والجر

ثالثاً : الامام علي : قال الامام لابي الاسود اني سعت ببلدكم هذا لحناً من مخالطة العرب لهذه الحمراء ويريد بهم الفرس ويقال ان الامام عليا اخرج من تحت بساطه صحيفة كتب بها بعض ما سمع الناس يلحنون به وتصحيح ذلك ووضع لهذا بعض الضوابط في تقسيم الكلمة إلى اسم وفعل وحرف وتعاريف بعض الالفاظ مما يرفع او ينصب او يجر وقرأها ابوالا سود وقال له الامام مع ما هو على غرارها وانح هذا النحو قسمين هذا العلم نحواً ثم ان ابا الاسود توسع بما وضعه ثم عرضه على الامام واستحسن الامام ما عمل ولما نظر في ادوات النصب لم يجد فيها لكن فقال و اين لكن فقال ابوالا سود ما كنت احسب انها منها فقال بلى في منها وجع بعد ذلك ما وضعه وتوسع فيه حتى كان من ذلك مجموعة دونها في الصحائف سميت بالتعليقة.روايات نسبت النحو الى سواه : قال محمد ابن سلام « وكان اول من اسس العربية وفتح بابها ووضع قياسها ابو الاسود ثم قال ووضع باب الفاعل والمفعول والنصب والجزم ثم قال بعد ذلك ثم كان بعده ابي اسحاق الحضرمي . و ذكر ابن خلكان نسبة النحو الى يحيى ابن يعمر ونصر ابن عاصم .

المتأخرون من المستشرقين -

ذهب كثير منهم الى ان ابا الأسود لم يضع العربية ويبداها ضوابط وقواعد لان هذه تقسيمات منطقية لا تنسجم وعقلية العرب في اول عصر الثقافة التي بداؤها وان هذه التقسيمات انشات بعد ذلك .اي بعد تطور الفكر العربي وتأثير الفلسفة والمنطق اليوناني على العقلية العر

الا ان هذا الراي لا يسنده دليل مقبول يقول الدكتور محمد حسين فلقد وجدنا من عرضنا لاغلب المصادر القديمة انها تنص على ان ابا الاسود وضع ضوابط نحوية أولية يا شارة من الامام علي.

نقط الإعراب ونقط الاعجام:

بعد ان كثر الخطأ وانتشر اللحن على الالسنة رأى المسلمون أن يحافظوا على الذكر الحكيم من اللحن فأول من تصدى زياد ابن أبيه وكان والياً على العراق فطلب من ابو أسود الدؤلي (ان يعمل على ضبط القران فأعتذر في بادئ الامر لما كان بينهم من جفاء ثم وافق بعد ذلك فوضع نقط الاعراب للقرآن واتخذ كاتباً فطناً من بني عبد القيس وقال له:(اذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فأنقط نقطة فوقه على اعلاه وأن ضممت شفتي فأنقط نقطة بين يدي الحرف وأن

كسرت شفتي فاجعل النقطة تحت الحرف وفان اتبعت شيئاً من ذلك غنه فاجعل مكان النقطة نقطتين) وكان الكاتب يضع النقط بمداد يخالف لونه لون المداد الذي كتبت به الآيات .

وشاع هذا العمل وانتشر عند تلاميذ ابو اسود الدؤلي وهم (نصر بن عاصم الليثي وعبد الرحمن بن هرمز ويحيى ابن يعمر وعنبسه الفيل وميمون الاقرن).فهؤلاء نقطوا المصحف واخذوا عنهم النقط والحفظ والضبط واتبعوا فيه سنتهم واتبعوا في مذاهبهم .

لم تكن فكرة النقط بالفكرة الجديدة فقد كان الاهل المدينة واهل مكة نقاط يختلفان عن نقط أبي

اسود الدؤلي فأخذوا نقاط ابو اسود الدؤلي وسمي بنقط البصرة .

فأول من نقط للناس في البصرة هو نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر ,وأن مصطلح الضمة والفتحة والكسرة جاءت من عبارة (ضممت شفتي وفتحتها وكسرتها).

فبعد النقاط التي وضعها ابو الاسود الدؤلي ظهرت مشكلة جديدة للمسلمين على الاخص لغير العرب في قراءة القران وهي مشكلة التمييز بين الحروف المعجمة والمهملة فتصدى الحجاج الذي كان واليا على العراق فطلب من نصر بن العاصم الليثي (ت٨٩هـ) ان يعمل على حل هذه الأشكال . فوضع نقط على حروف المصحف للتميز بين الاحرف المتشابهة في الرسم حتى استكمل جميع الحروف وهو المعروف اليوم بنقط الاعجام.

وبعد ذلك جاء الخليل (ت١٧٥هـ) فطور نقط ابي الاسود الدؤلي الى جعل للضم واواً صغيرة فوق الحرف , وجعل للفتح الفاً مائلة فوق الحرف , وجعل للكسر ياء صغيرة تحت الحرف . وللتشديد شيئا صغير وللتخفيف خاء صغيرة .

ونسب الى الخليل وابي الاسود الدؤلي كتب في النقط وعلله واحكامه ولم تصل الينا , وتوالت بعد ذلك كتب العلماء وخاصة في القرون الثلاثة الاولى لكن لم تصل جميعها اهم ما وصل الينا:

ابو الاسود الدؤلي (٨٩ت) والخليل بن احمد (ت١٧٥هـ) ابي محمد يحيى بن مبارك اليزيدي(٢٠٢ت) ابي اسحاق ابراهيم اليزيدي (ت ٢٢٥هـ) ابي عبد الله محمد بن يحيى اليزيدي(٢٢٧ت) ابي عبد الرحمن عبدالله بن يحيى اليزيدي (٢٣٧ت)ابي اسحاق ابراهيم بن سفيان اليزيدي(٢٤٩ت) وابي حاتم السجستاني ت(٢٥٥هـ) والدينوري ت(٢٨٢هـ).

ولم تصل من الف بعدهم في القرن الثالث سوى كتاب ابو عمرو الداني (ت٤٤٤هـ),(المحكم في نقط المصاحف).

يعد أبو السود الدؤلي مع الإمام علي رضي الله عنه أول من وضعا النحو والقواعد النحوية

معتمدين على لغة العرب